

الخطبة الإذاعية (34) : خ 1 - الجانب الاجتماعي عن الإنسان ، خ 2 - النحل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-10-1994

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

سبحان من خضع كل شيء لهبته، واستسلم كل شيء لقدرته، وتصادر كل شيء لكبريائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرغ كل ملهوف،
فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف
نخشى غيرك، والأمر كله إليك.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، أرسلته ليخرجنا من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن ذل الشرك إلى عز التوحيد، ومن
و حول الشهوات إلى جنات القربات . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، وعلى
أصحاب محمد، وعلى ذرية محمد وسلم تسلیماً كثيراً.

عباد الله أوصيكم ونفسي ببنقوى الله، وأحتكم على طاعته، واستفتح بالذي هو خير.

الفضائل الاجتماعية والمصالح المادية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، في شخصية الإنسان جانب مادي، وجانب فكري،
وجانب نفسي، وجانب اجتماعي، وجوانب أخرى، والخطبة اليوم عن الجانب الاجتماعي في الإنسان
وعلاقته بالإسلام، الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وختم به رسالات السماء، و أخبر بأنه سيظهره على
الدين كلـه.

أخوة الإيمان في كل مكان، من حاجات الفرد الأساسية حاجة الإنسان إلى المحبة أي إلى أن يُحب، وإلى
أن يُحب، و حاجته إلى التقدير أن يقدر الآخرون، و حاجته إلى الآنس، و حاجته إلى الأمان، و حاجته إلى
معونة الآخرين، و حاجته إلى نصرتهم والتقوى بهم، و حاجته إلى الأخذ من معارفهم وخبراتهم
و منجزاتهم، بل إن هناك حاجات عضوية لا تتحقق مع الإنسان إلا بغيره، كل هذه الحاجات تولد في
نفس الفرد الميل إلى الجماعة، الميل إلى الانخراط فيها والاندماج معها تلبية ل حاجاته العضوية،
والنفسية، والفكرية، وإلى جانب هذا الدافع الاجتماعي في الإنسان نجد الفردية والأثرة التي تغذيها
الغرائز والمصالح، وح بينما تصطدم النزعة الاجتماعية في الفرد مع مصالحه المادية نجد الإنسان

المختلف من منهج الله يؤثر مصالحه المادية، ويلقي بفضائله الاجتماعية عرض الطريق، وهذا ما نجده في الأفراد والمجتمعات المادية.

أيها الأخوة الكرام، هذا هو الإنسان قبل أن يعرف الواحد الديان، وقبل أن يستثير عقله، وقبل أن تزكي نفسه، وقبل أن يصلح عمله، لكن الإسلام حينما غدى في الفرد الدافع الاجتماعي، وحث على لزوم الجماعة، ووهن فردية الإنسان وانعزاليته أراد أن يصعد هذا الدافع الاجتماعي، وأن يسمو به في كل مراحله ومستوياته، فجعل الإسلام الدافع الاجتماعي في المسلم ينبع من عبادة الله وطلب مرضاته عن طريق خدمة عباده لا من تلبية حاجاته المادية والمعنوية، وجعل الإسلام النشاط الاجتماعي لل المسلم يسري في قنوات نظيفة حددتها الشريعة الحكيم ضماناً لسلامة الفرد، وضماناً لسلامة المجتمع من الفساد والانحلال، وجعل كثيراً من الفضائل الخلقية والأعمال الجليلة لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي، وجعل الفردية والانعزالية سبباً لكثير من الرذائل الخلقية والأعمال الخسيسة، أما حينما يفسد المجتمع، وتنهار فيه القيم، وتداس فيه المبادئ بأقدام المصالح عندئذ يأمر الإسلام بجفوة هذا المجتمع واعتزاله.

النصوص القرآنية والنبوية التي تؤكد بعض الأسس الاجتماعية:

هذه أيها الأخوة، بعض الأسس الاجتماعية من خلال مبادئ الإسلام وتشريعاته، والآن إلى النصوص القرآنية والنبوية التي تؤكد تلك المنطلقات.

روى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقـة فإن الشـيطـان مع الوـاحـد وـهـوـ مـنـ الإـثـنـيـنـ أـبـعـدـ، وـمـنـ أـرـادـ بـحـبـوـحـةـ
الـجـنـةـ فـلـيـلـزـمـ الـجـمـاعـةـ))

[الترمذى عن عمر بن الخطاب]

وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بأنه مَالِفُ أَيْ أَنَّهُ يَأْلُفُ وَيُؤْلِفُ، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((المؤمن مَالِفُ وَلَا خَيْرٌ فِي مَنْ لَا يَأْلُفُ وَلَا يُؤْلِفُ))

[أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وتعيناً لوحدة جماعة المؤمنين شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالبنيان يشد بعضه بعضه، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه الشريفة))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

وزاد النبي صلى الله عليه وسلم في تعميق معنى وحدة المؤمنين حينما بين أن كثولتهم الواحدة المتماسكة وبناءهم المتشابك بناء تسري فيه روح واحدة، وحس مشترك، فهم كالجسد الواحد تتعاون جميع أعضائه تعاوناً تاماً، روى مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكي عيشه اشتكي كله وإن اشتكي رأسه اشتكي كله))

[أخرجه أحمد في مسنده وصحح مسلم عن النعمان بن بشير]

وقال أيضاً:

((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))

[أخرجه أحمد في مسنده وصحح مسلم عن النعمان بن بشير]

أشار القرآن الكريم إلى ضرورة انتماء المؤمن إلى مجموع المؤمنين:

أخوة الإيمان في كل مكان، أما القرآن الكريم فقد أشار إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من انتماء عميق إلى مجموع المؤمنين، ومن سمو المشاعر الجماعية عنده، ومن إيجابية مواقفه الغيرية، قال تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) (188)

(سورة البقرة)

قال تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ)

. ولم يقل: ولا تأكلوا أموال أخوانكم، وكأن الآية تقول أيها المؤمن مال أخيك هو في الحقيقة مالك من زاوية أن قوة أخيك المالية قوة لك، وفي أكل ماله إضعاف للمجموع وإضعاف لك، ومال أخيك هو في الحقيقة مالك من زاوية ثانية، من زاوية وجوب المحافظة عليه فلان تمنع عن أكله بالباطل من باب أولى، ومال الفرد المسلم هو مال للجماعة، فينبغي أن ينفق وفق المنهج الإلهي الذي يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، فلو أنفق المال إسرافاً وتبذيراً أضر بالجماعة، لذلك يأمر الإسلام أن يحجر على تصرفات السفهية، وأن تكف يده عن ماله، قال تعالى:

(وَلَا ثُوَّبُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَأَرْزَقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوْهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (5)

(سورة النساء)

ومثل هذا قوله تعالى:

(وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ (١١))

(سورة الحجرات)

ومعلوم في البديهة أن الإنسان لا يلمز نفسه، وإنما يلمز غيره أي يحرره، ولكن لما كان المعنى الجماعي سارياً في كل الأفراد كان من يلمز آخاه كأنما يلمز نفسه، لأن له نصيباً من مضره ما فعل، بوصفه جزءاً من الجماعة التي آذى بعض أفرادها، فسرى الإيذاء إلى الجماعة كلها.

بعض الأحاديث النبوية عن تعميق روح الجماعة بين المؤمنين:

أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، بتسييخاً لروح الجماعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجتمع المسلمين على الطعام ليبارك لهم فيه، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما نأكل ولا نسبع، فقال عليه الصلاة والسلام :

((فَلَعْلَكُمْ تَفَرَّقُونَ، قَالُوا نَعَمْ، قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يَبْارَكُ لَكُمْ فِيهِ))

[أبو داود عن وحشى بن حرب]

حينما يعتذر بعض الانعزاليين بأنهم يريدون أن يسلموا من آذى الناس بسبب مخالفتهم، لذلك هم يؤثرون الابتعاد عن المجتمع، يأتيهم البيان النبوى يؤكّد لهم أنّ المُسلّم الذي يخالط الناس، ويصبر على آذائهم أفضل من الذي لا يخالطه م ولا يصبر على آذائهم، حتى إن بعض العبادات في الإسلام لا تؤدي إلا بشكل جماعي كعبادة الحج، وصلاة الجمعة، وصلاة العيددين، وصلاة الجنائز، بل إن الإسلام حرص على أن تؤدي الصلوات الخمس جماعة في المساجد، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه:

((مِنْ صَلَىَ الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذَمَّةِ اللَّهِ))

[مسلم عن جذب بن عبد الله]

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تُفْضِلُ صَلَاةَ الْفَذِ - أَيِّ الْفَرْدِ - بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرْجَةً))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

ولعل من أبلغ ما قيل في تعميق روح الجماعة بين المؤمنين قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس]

الدافع الاجتماعي الذي غذاه الإسلام وسمى به ينبغي أن تضبطه ضوابط:

أيها الأخوة المستمعون، أيتها الأخوات المستمعات، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الدافع الاجتماعي الذي غذاه الإسلام وسمى به ينبغي أن تضبطه ضوابط، وأن تنظمه أوامر، وأن تحصنه أخلاقه، وأن تحكمه قيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا تحاسدوا ولا تناجشو ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحرقه، التقوى ها هنا وأشار إلى صدره الشريف ثلاثة مرات، بحسب مريء من الشر أن يحقر أخيه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))

[رواية الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة]

وقال الإمام النووي عن هذا الحديث ما أعظم نفعه وما أكثر فوائده، وقال عنه ابن حجر الهيثمي : هذا الحديث هو أكثر أحكام الإسلام منطقية ومفهومية، وهو أكثر الآداب إيماءً وتحقيقاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام ينهى عن الحسد الذي يرجع إلى ضعف الإيمان بحكمة الله وعدالته، وتنمي زوال النعمة عن الآخرين، وهذا التمني مناقض للأخوة الإيمانية، فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجاشي، وهو شراء صوري بسعر مرتفع بقصد الإضرار بالمشتري الحقيقي، وتحقيق ربح غير مشروع، وهو بالمعنى الموسوع مطلق الخديعة والمكر، قال تعالى:

(ولَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ (11))

(سورة الحجرات)

وفي الحديث الشريف:

((المكر والخداع في النار))

[ورد في الأثر]

وفي الحديث الآخر:

((ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به))

[الترمذى عن أبي بكر الصديق]

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التباغض والتدابر والهجران:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التباغض بسبب الأهواء والمصالح، وحقيقة النهي عن التباغض هو نهي عن أسباب التباغض، فكل موقف، أو تصرف، أو كلام من شأنه أن يجرح أخيك فيبغضك محرّم في دين الله، والتباغض أيها الأخوة يتناقض مع الألفة والمحبة، التي هي من خصائص المؤمنين، قال تعالى في سورة آل عمران:

(اعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولَا تَفْرَقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَلَمَّا فَلَّافَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أَخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافٍ حُقْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَلَمَّا فَلَّافَ كُلُّكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّنُونَ (103))

(سورة آل عمران)

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التدابر والهجران، ففي صحيح البخاري:
(لا يحل لمسلم أن يهجر أخيه فوق ثلات.)

[البخاري عن أنس بن مالك]

ومن هجر أخيه ستة أيام فهو كسفك دمه.

وبعد أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أسباب العداوة والبغضاء أمر بكل ما من شأنه أن يمكن المحبة والألفة والتآخي بين المؤمنون فقال عليه الصلاة والسلام:

(وكونوا عباد الله أخوانا)

[رواه مسلم عن أنس بن مالك]

فأنتم عباد الله، ومن شأن العبد أن يطيع الله ربه فيما أمر وفيما نهى، والله يريكم أن تكونوا أخواناً . في حديث آخر يبين النبي صلى الله عليه وسلم حقوق المسلم على المسلم، ولا شك في أن أداء هذه الحقوق تورث المحبة والألفة والأخوة، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((حق المسلم على المسلم خمس، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنازة وتشمير العاطس، وفي روایة لمسلم، وإذا استنصحك فانصحه))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

من حقه عليك.

حرم النبي الكريم ظلم المسلم وخذلانه وتكذيبه وتحقيره أشد التحريم:

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ما من شأنه أن يسبب تنازع القلوب واختلافها، فقد حرم النبي عليه الصلاة والسلام أشد التحريم ظلم المسلم، فلا يدخل عليه ضرراً في نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم خذلان المسلم في دنياه، كأن يقدر الرجل على نصرة أخيه مظلوم، وكف يد ظالمه، ثم لا يفعل، وكأن يقدر المسلم على نصرة أخيه في آخرته، كأن يقدر على نصحه وكفه عن غيه فلا يفعل، روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رفوس الخلاق يوم القيمة))

[أحمد عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه]

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم أن يُكذب المسلم، أو يُكذب عليه، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب))

[أحمد وابن عدي والبيهقي عن النواس بن سمعان]

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحريم تحقير المسلم، لأن الله لما خلقه كرمه ورفعه وكله، واحتقار المسلم تطاول على مقام الربوبية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((بحسب المرء من الشر أن يُحقر أخاه المسلم))

[رواية الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه]

والاحتقار ناشئ عن الكبر، لما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((الكبر بطر الحق - أي رد - وغمص الناس))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود]

أي احتقارهم، وفي صحيح مسلم:

((لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالٌ ذَرَّةٍ مِّنْ كَبْرٍ))

[رواية مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه]

وتعليل ذلك أن الكبر يتناقض مع العبودية لله، فكما أن قطرة من النفط واحدة تقفس قربة من العسل، كذلك ذرة من الكبر تقفس العبادة كلها.

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم أن للمسلم حرمة في دمه، وحرمة في ماله، وحرمة في عرضه، وهذه الحرمات الثلاث يقوم عليها المجتمع المسلم الآمن، وحافظاً على الدم من أن يسيل، وعلى المال من أن يسرق، وعلى العرض من أن ينتهك شرع القصاص في الإسلام، وأعلنت الحدود، قال تعالى:

(وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَقَّنُ (179))

(سورة البقرة)

بل إن ترويع المسلم محرم في الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام:
((لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً))

[الطبراني عن النعمان بن بشير، ابن المبارك عن أبي هريرة]

قصة ظهر التعاون والإخلاص للمبدأ والتناصح:

أيها الأخوة المسلمين، أيتها الأخوات المسلمات، بعد أن تحدثت عن المنطلقات النظرية للجانب الاجتماعي في شخصية المسلم، وبعد أن تحدثت عن النصوص القرآنية والنبوية التي نعد أصلاً في الروح الجماعية التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون، ننتقل الآن إلى الواقع، فهذه قصة جرت وقائعها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ممكناً أن نستشف منها روح التعاون والإخلاص، وروح التناصح بين المؤمنين.

غلام صغير اسمه عمير بن سعد الأنصاري تجرع كأس اليتم والفاقة منذ نعومة أظفاره، وتزوجت أمه من ثري من أثرياء الأوس يدعى الجлас بن سويد، أحب عمير عمه الجлас حب الابن لأبيه، وأولع الجлас بعمير ولع الوالد لولده، وكان عمير لا يختلف عن صلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي السنة التاسعة للهجرة أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن عزمه على غزو الروم في تبوك، وأمر المسلمين أن يستعدوا، ورأى عمير كيف أن المسلمين يبذلون كل ما في وسعهم لتجهيز هذا الجيش الغازي، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي بalf دينار ذهباً ويضعها بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يحمل متني أوقية من الذهب ويضعها بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء نساء المهاجرين والأنصار ينزعن حليهن ليقدمنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا رجل يعرض فراشه للبيع ليشتري بثمنه سيفاً يقاتل به، وهؤلاء النفر الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمهم إلى الجيش فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه فتولوا وأعينهم تف ips من الدموع حزناً.

وعجب عمير الفتى الأنصاري من تباطأ عمه الجлас عن البذل لهذا الجيش، وعرض عليه هذه الصور المشرقة من بذل الصحابة الأغنياء والفقراء على حد سواء، فما كان من الجлас إلا أن قال : يا عمير إن كان محمد صادق فيما يدعيه من النبوة فنحن شر من الحمير، شد عمير مما سمع، ورأى أن في السكوت على الجлас والتستر عليه خيانة الله ورسوله، وإن في إذاعة ما سمعه عقوبة بالرجل، فقال لعمه الجлас: والله يا عم ما كان على ظهر الأرض أحد بعد محمد بن عبد الله أحب إلي منك، ولقد قلت

مقالة إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خنت أمانتي، وأهلكت نفسي، وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قلت قبل أن ينزل وحي يشركني في إثمك، فكن على بيته من أمرك، ومضى الفتى عمير إلى المسجد، وأخبر النبي بما سمع، واستدعي النبي صلى الله عليه وسلم للجلس، وسأله عن مقالته لعمير فقال: كذب علي يا رسول الله وافترى مما تقوه بشيء من ذلك، فقال بعض الحاضرين: فتى عاقد أبى إلا أن يسيء لمن أحسن إليه، وقال آخرون: بل إنه غلام نشأ في طاعة الله، والتقت النبي عليه الصلاة والسلام إلى عمير فرأى وجهه قد احترق بالدم، والدموع تنحدر من عينيه، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، فانبرى الجلاس، وقال: يا رسول الله إنني أحلف بالله ما قلت شيئاً مما نقله إليك عمير، ثم غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فعرف أصحابه أنه الوحي، فلزموه أماكنهم حتى سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سُرِّي عنه تلا قوله عز وجل:

(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفُرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُوا بِمَا لَمْ يَأْتُوا وَمَا نَقْمُو إِلَّا
أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُونُ خَيْرًا لَهُمْ (74))

(سورة التوبة)

ارتعد الجلاس من هول ما سمع ثم التقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: بل أتوب يا رسول الله، صدق عمير، وكنت من الكاذبين، أسأل الله أن يقبل توبتي جعلت فداك يا رسول الله، ثم توجه النبي الكريم إلى عمير بن سعد فإذا دموع الفرح تبل وجهه المشرق، فمد يده الشريفة إلى أذنه فأمسكها برفق وقال: وقت أذنك يا غلام ما سمعت، وصدقك ربك، وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام، والشيء الغريب أن الصحابة عرفوا صلاح حاله مما كان يغدوه على عمير من بر، فقد كان يقول كلما ذكر عمير: جزاء الله عندي خيراً لقد أنقذني من الكفر وأعتق رقبتي من النار.

أرأيتم أيها الأخوة إلى التعاون والإخلاص للمبدأ والتناصح.

الأمر التكويني والأمر التكليفي:

أيها الأخوة المؤمنون، الأمر التكويني فعل الله، والأمر التكليفي أمر الله ونبيه، لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وكرمه أعظم تكريماً بأمر تكويني، وكله أن يبني مجتمعاً فاضلاً أساسه التعاون والتنظيم والعمل المنتج وتحكمه القيم، قيم العدل والرحمة والإحسان بأمر تكليفي، خلقه بأمر تكويني وأمره أن يبني هذا المجتمع الفاضل بأمر تكليفي، فإذا ظهر الخلل والفساد في المجتمع البشري فسببه الخروج عن الأمر التكليفي، وشاءت حكمة الله أن يخلق مجتمعاً قائماً على أعلى مستويات التعاون، والتكامل، والاختصاص، والعمل الدؤوب المنتج، والتنظيم المعجز بأمر تكويني لا تكليفي، لذلك لا يمكن أن تجد

في هذا المجتمع خللاً ولا فساداً، كمال مطلق لأن أمره هنا تكويني لا تكليفي، هذا ما نجده في مجتمع النحل الخلية النحل مجتمع موحد متكامل على رأسه ملكة واحدة لا تنازعها أخرى، تشعر كل نحلة في الخلية بوجود الملكة عن طريق مادة تفرزها الملكة، وتنقلها العاملات إلى كل أفراد الخلية، فإذا ماتت الملكة اضطررت النظام في الخلية وعمت الفوضى، وشلت الأعمال، والملكة تضع كل يوم في فصل الربع قريباً من ألفي بيضة ما بين ذكور، وإناث، وملكات، وتضع الملكة كل جنس في مكان مخصص ليتلقى غذاءً خاصاً، وعناية خاصة بحسب جنسه، ولإناث النحل أعمال متعددة كثيرة توزع فيما بينها بحسب أعمارها واستعدادها الجسماني، وعند الضرورة، وعند الخطر، وفي المواسم الجيدة تعمل كل نحلة أي عمل يفرض عليها، هناك وصيفات للملكة يقمن على خدمتها وجلب الطعام الملكي لها، وهناك حاضرات ومربيات يقمن برعاية الصغار وجلب الغذاء المناسب، وهناك شغالات يحضرن الماء إلى الخلية، وهناك شغالات يقمن بتهوية الخلية صيفاً وتدافتها شتاءً، وترطبيها في وقت الجفاف، وهناك شغالات يقمن بتنظيف الخلية، وجعل جدرانها ملساء ناعمة لامعة عن طريق مواد خاصة، وهناك حراسات يقمن بحراسة الخلية من الأداء، ولا يسمح لنحلة أن تدخل الخلية ما لم تذكر كلمة السر وإلا تقتل، وكلمة السر تبدل عند الضرورة، وهناك شغالات يقمن بصنع أقراص الشمع ذات الشكل السادس الذي تتعدم فيه الفراغات البينية بتصميم معجز، وبأسلوب يعجز عن تقليده كبار المهندسين، وهناك رائدات يقمن بمهمة استكشاف مواقع الأزهار، فإذا عثرن عليه عدن إلى الخلية، ورقصن رقصة خاصة تحدد هذا الرقصة لبقية النحلات العاملات الموقع من حيث المسافة، ومن حيث الاتجاه، ودرجة النشاط في الرقص تدل على وفرة الغذاء أو تناقصه، والجمهرة الكبيرة من الشغالات تنطلق إلى موقع الأزهار لجني رحيقها، لأن المادة الأولية للعسل، وقد تبتعد هذه المواقع عن الخلية أكثر من عشرة كيلو مترات، وتعود النحلات إلى الخلية بعد أخذ الرحيق بطريقة لا تزال مجهولة حتى اليوم.

إعجاز الله في خلق النحل:

النحل أكفاء الحشرات في جمع، ونقل، وتخزين أكبر قدر من رحيق الأزهار في أقصر وقت، وفي أقل مجهود، وهي أكفاء الحشرات على تلقيح النباتات لتساعدها على إنتاج البذور والثمار، وتخرج النحلات إلى مكان واحد محدد مسبقاً لتجني رحيق أزهار نوع واحد محدد مسبقاً، والذي يلفت النظر أن أمراض النحل كلها لا تنتقل إلى الإنسان عن طريق العسل، ويتمتع النحل بقدرة يصعب تفسيرها على الإحساس بالزمن فيعرف متى تفرز أزهار كل نوع من النبات رحيقها؟ ومتى تنشر حبوب لفاحها؟ ثم يداوم على زياره كل منها في الموعد المناسب فقط، وجني الرحيق الذي يكفي لصنع كيلو واحد من العسل يحتاج

إلى طيران أربعين ألف كيلو متر، أي ما يعادل عشرة أضعاف محيط الأرض، وقيمة العسل العلاجية أضعاف قيمته الغذائية، ففوائد العلاجية في مختلف أجهزة الجسم وأعضائه ونسجه ثابتة، بل تفوق الحـ المعقول، كيف لا وقد قال الله عز وجل:

(وَأُوحِيَ رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنَّ الْخِدْرِيَّ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِّيَّ مِنْ كُلِّ الْتَّمَرَاتِ فَاسْكُنِي سُبْلَ رَبِّكَ ذُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ الْوَانَةُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ (69))

(سورة النحل)

لماذا خوطب النحل في القرآن الكريم بضمير المؤنث، حيث قال تعالى:

(وَأُوحِيَ رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنَّ الْخِدْرِيَّ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَا يَعْرِشُونَ (68))

(سورة النحل)

بينما خوطب النمل في القرآن الكريم بضمير المذكر، حيث قال تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمْنَكُمْ سُلَيْمانٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18))

(سورة النمل)

الإجابة عن هذا السؤال تدخل في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين